﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾ [المائدة: 111]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين كَفِّ الكَفَرَةِ عنِ المسيحِ، واضْطِفائِه لِلْحَواريّين مِنَ المؤمنين

لمّا ذكر الله تكذيبَ الّذين كفروا من قوم عيسى ﷺ في نهاية الآية السّابقة، قابلَه بتصديق الحَواريّين وإيمانِهم على سبيل التّسرية، وجاءتِ الآيةُ عطفًا على ما سبقَ من جُملة تَعداد النِّعَم على عيسى ﷺ بأن جَعلَ له أتباعًا يُصَدِّقونَهُ، ويَعملونَ بما جاء به. وفيه إشارةٌ إلى صاحبِ الرّسالة الّذي يتلقّى هذا الوحَي محمّد ﷺ بأنّ انقسامَ النّاس مِن دعوته إلى مؤمنين وكافرين هو شأنُ سائرِ الأقوام مع رُسُلِهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَوۡحَيۡتُ﴾: يدلُّ معنى الوحي على إعلامٍ في إشارةٍ خفيَّةٍ وسريعةٍ، بمعنى: إيقاعِ المعنى في القلب بطريقةٍ خفيَّةٍ، ويشمل الوَحيَ بالكلام المباشر، وبواسطة الرُّسُل، وبالإلهام، وبالإشارة، والإفهام، وقد يكونُ بالخير، وقد يكونُ بالشّرّ، بأن يكونَ بمعنى الوسوسة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام: 121]، والإسرارِ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: 112].

ومعنى ﴿أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ في الآية: ألهمتُهم، أو أَمرتُهم على أَلسنَة الرُّسُل[2].

2) ﴿ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾: جَمعُ حَواريٍّ، ومعناه في أصل اللُّغة: الأبيضُ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/259، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/408.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/101، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/532.

النَّقيُّ اللَّونِ، ومنه قولهم: حَوَّرَتُ الثّيابَ؛ أي: بَيَّضتُها، فالحواريُّ مَن خَلُصَ لك، وأخلَصَ سرًّا وجهرًا في مودَّتِكَ، والحواريّونَ: أنصارُ عيسى ﷺ، وخاصّةُ أصحابه[1].

3) ﴿وَٱشۡهَدۡ﴾: يدُلُّ معنى الكلمة على حُضورٍ وعِلمٍ وإعلامٍ. والشَّهادةُ قولٌ صادرٌ عن علمٍ حصلَ بمشاهدة بصرٍ أو بصيرةٍ، فيشتركُ فيها اللّسانُ بالقول، والعقلُ بالعلم، والبصرُ أو البصيرةُ بالمشاهدة، فهي إخبار بما عَلِمه، ممّا رآهُ إذ حَضَر. وشَهِدَ الشّاهدُ: بيّنَ ما يعلمُ وأظهرَهُ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

نُصْرةُ الله لأنبيائه بالأتباعِ الصَّادقين، منَ الحَواريّين المُخْلَصين

واذكر - يا عيسى - نعمةً أخرى عظيمةً مِن نِعمي عليكَ إذ يسَّرتُ لكَ أتباعًا وأعوانًا؛ حينَ ألهمتُ الحَواريّينَ أنصارَكَ وخلصاءَكَ، أو أمرتُهم بالوحيِ الّذي جاءكَ مِن عند الله؛ أن يُؤمِنوا بي، ويصدِّقوا بوحدانيتي، ويؤمنوا بنبوَّتِكَ ورسالتِكَ، فقالوا: صدَّقنا يا ربَّنا، واشهد علينا؛ بأنَّنا خاضِعون لك، مستسلمونَ لأمرِك[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ ﴿إِذۡ﴾ و﴿أَنۡ﴾ على التّفسيريّةِ والمصدريّةِ:

تقريرُ الإيمانِ بوَحدانيّة الله تعالى وبرسالةِ عيسَى ﷺ

يجري فيها الكلامُ كما ذُكرَ في الآية السّابقة، فتفيدُ التَّذكيرَ بأمرٍ ذي شأنٍ عظيم وغريبٍ، وهو تأكيدُ وحدانية الله تعالى، كركيزةٍ من أهمّ ركائز رسالة عيسى ﷺ. وتَحتملُ ﴿أَنۡ﴾ أن تَكونَ تَفسيريَّةً، وأن تكونَ مصدريَّةً[4]؛ أمّا كونُها تفسيريَّةً: فإنَّه لمّا كانَ الإيحاءُ فيه معنى القول، وكان فيه إبهامٌ يحتاجُ إلى تفسيرٍ وبيانٍ،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (حَوِرَ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شهد).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 11/218، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 126.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/408، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/96، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/104.

أردفهُ بـ ﴿أَنْ﴾ التَّفسيريَّةِ؛ لِبيان عِظَم الإيحاء وأهمّيّتِه، فجاءَ به مجمَلًا ثمَّ فسّره، فكأنَّه تكرَّر مرّتين؛ أي: يكونُ الإيحاءُ على معنى أمرتُهم بالإيمان بي وبرسولي؛ ليوافقَ مفسِّره، ففيه معنى التَّأكيد والتَّقرير للأمر بالإيمان بوحدانيَّة الله وبرسالة عيسى ﷺ. وتحتملُ أن تَكونَ مَصدَريَّةً، والمعنى: وأوحيتُ إلى الحواريّين الإيمانَ بي، وبرسولي.

ومع أنّ الظّاهرَ هو ترجيحُ كونِها تفسيريّةً؛ لِما يترتّبُ على هذا من مجيء المعنى في صورتَين: الإجمال والتّفصيل؛ فإنَّ الاحتمالَين مقصودان على السّواء؛ مراعاةً لتعدُّد أفهامِ المُخاطَبين، ومستوى إدراكِهم، واختلافِ طبقاتِهم.

سِرُّ تعدُّدِ المُتعلَّقِ، في: ﴿ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾:

يدلُّ المتعلَّقُ الأوّلُ ﴿بِي﴾ على الإيمان بالله الواحد وبصفاته العليا، وجاء بالتَّكلُّم لمناسبة كلام ربِّ العزّة على الإيمان بذاته، وعطفَ عليه رسولَه، مع إعادة حرف الجرّ لتأكيد المُغايرة، وأوردَ ذكرَ عيسى ﷺ بعنوان الرِّسالة؛ إيذانًا بأنَّ الإيمان به يكونُ بعنوانِ كونِهِ رسولًا مِن عند الله، فلا تُخرجوه عن حيِّزه حطّاً ولا رَفعاً[1]. كما أنَّ الإضافةَ هنا على التَّشريف والتَّكريم، ولاسيّما أنَّ السّياقَ في بيانِ تَعدادِ النِّعم، وتوبيخِ الكافرين من قومِ عيسى ﷺ.

الإيمانُ بالله وبرسوله، هو لُبّ الإيمان، وتَحْقيقُ مَطْلوبِ الله تعالى

بلاغةُ الاستئنافِ البَيانيّ، وحذفِ المتعلَّقِ، في: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾:

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ عن سببٍ عامٍّ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ من فحوى الكلام[2]، فإنَّه لمّا كانَ الإيحاءُ بطلب الإيمان بالله وبرسوله عيسى للحَواريّين اقتضى سؤالًا؛ لِتحريك السّامع بأن يسألَ، فماذا قالَ الحَواريّون؟ وماذا أجابوا؟، فقيلَ: قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾،

دَوْرُ السّياقِ في تحريكِ أشواقِ المُستَمِع، وتأثيرُ الحَذْفِ في تَكثيرِ المعنى

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/96.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/96.

فهو جوابُ سؤالٍ مقدَّر، وليس منَ البلاغة أن يَعرَى الكلامُ عنِ الجواب. وفيه منَ الفوائد البلاغيَّة تكثيرُ المعنى بتقليل اللَّفظ.

وكذلك حذفُ المُتعلَّق فيَحتملُ أن يكونَ الحذفُ على معنى عموم المُتعلَّق؛ أي: آمنّا بكلِّ ما أمرتَنا به منَ الإيمان بك وبرسولك وعلى وفْقِ ما أمرتَ، وهذا هو الظّاهرُ لِمناسبتِهِ قولَه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾، فحذفَ متعلَّقَ الإيمانِ لدلالة السّياق عليه. ويحتملُ أن يكونَ الحذفُ على معنى الاقتصار؛ أي: صارَ الإيمانُ سجيَّةً لهم؛ مبالغةً في امتثالِهم للأمر.

تتابعُ التَّأكيدِ، في قولِه تعالى: ﴿بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾:

بـوادرُ الـشّـكِّ تـقـتـضِي تـتـابُـعَ التّأكيدِ، لإزالَتِه ودَحْضِه

أكَّد الحَواريّون إسلامَهم وانقيادَهم بتأكيدَين، وكأنَّ بوادرَ الشّكِّ في إيمانِهم هي الَّتي اقتضت تتابُعَ التَّأكيد، فجاءَ الكلامُ مؤكَّدًا بتأكيدَين: بـ (أنَّ) المؤكِّدة لمضمون الجملة، وبمجيءِ الكلامِ بطريقة الجملة الاسميَّة، فأفادتِ الصّياغةُ تأكيدَ إسلامِهم.

إيثارُ تقديمِ الإيمانِ على الإسلامِ:

الإيـمـانُ بالقلبِ شُعورٌ وِجدانيٌّ، مُقدَّمٌ عـلى الانـقـيـادِ الظّاهريِّ

في قوله: ﴿ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ قدَّمَ الإيمانَ على الإسلام؛ ليُعلَمَ أنَّ الإيمانَ الّذي يكونُ في القلب مقدَّمٌ على الانقياد بالظّاهر، ولأنَّ الإيمانَ صِفةُ القلب، والإسلامَ عبارةٌ عن الانقياد والخُضوع في الظّاهِر؛ يعني: آمِنوا بقلوبِكم، وانقادوا بظواهِركم[1]. وقد طلبوا إلى عيسى عليه السلام أن يشهدَ على إسلامهم دون إيمانهم؛ لأنَّ الإيمانَ محلُّه القلبُ، وإنّما يُستدلُّ عليه بالأعمال والأقوال الظّاهرة الّتي تدخلُ في باب الإسلام؛

لأنّ الإيمانَ في القلب، وهم يعلمون أنَّه لا يَطَّلعُ على ما في القلوب إلّا اللّهُ، ولمّا كانَ الانقيادُ والاستسلامُ من أعمال الظّاهر، وهو

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/461، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/73.

مُتَيَسِّرٌ لكلِّ إنسان؛ اقترنَ إثباتُهُ بإشهادهم عيسى - عليه السلام - عليه، فهذه الصّياغةُ في: ﴿ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ تبيِّنُ أنَّ الحَواريّين كانوا حديثي عهدٍ بإيمانٍ، وقد ظهر هذا جليًّا في طلبِهم آيةً من عيسى تشهدُ له وهي: ﴿مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: 114]، وإذا رأيتَ من جماعةٍ ما اهتمامًا بإبرازِ أعمال الظّاهر، وإشهادِ النّاس على صلاحِهم، فاعلم أنّ ثمّةَ مشكلةً في بواطنهم.

التّشابهُ اللّفظيُّ:

في المائدة: المُتَكَلِّمُ هو الله ﷻ، وفي آل عِمْرانَ إخْبارٌ عَنْ قَوْلِ عيسَى عليه السلام

جاء في هذه الآية حذفُ متعلَّقِ الإيمان، فقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾، وفي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وبيانُه أنّه في سورة آل عمران كان الإخبارُ عن قول عيسى في معرضِ النّصِّ على الاسم الجليل لتقرير الإيمان: الله، كما يدلُّ عليه قولُه: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، ففيه إخبارٌ عنِ الله بصيغة الاسم الظّاهر، وفي سورة المائدة ورد الكلامُ في سياقِ الخطاب: ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾، فناسبَهُ حذفُ الاسم الظّاهر؛ لمناسبتِه للخطاب[1]، فحينما ذُكِر اسمُ الله في الطّلب كان الجوابُ على شاكلته بذكر اسم الله كما في آل عمران، وحيثما طوي في الطّلب كان الجوابُ مثلُه كما في سورة المائدة؛ ليُشاكلَ الجوابُ الطّلبَ، وهي مواقفُ متعدّدةٌ لعيسى عليه السلام مع أنصاره. والظّاهرُ أنَّ الموقفَ الأوّلَ سجّلته سورةُ آل عمران، وناسبه إظهارُ اسم الله، والموقفُ الثّاني في سورة المائدة، مع تقارب المواقف، فالسّورتان مدنيّتان، ولكنّ آل عمران سابقةٌ في النُّزول وفي ترتيب المصحف على المائدة.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/408.

في المائدة تفصيلٌ في ذِكْر المُتَعَلّقِ، فناسَبَهُ وُرودُ (أنّنا) على أوفى الحالَيْن

وجاء في سورة آل عمرانَ في الآية نفسِها: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52] بحذف النّون؛ لاجتماع الأمثال، وهنا: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ بإثباتها، وهذا هو الأصلُ، والسَّبب: هو مناسبةُ التَّفصيل لإثباتِ النّون والإيجازِ لِحذفِها، فإنَّ آيةَ المائدةِ وردَ فيها التَّفصيلُ فيما يجبُ الإيمانُ به، وذلك قولُه: ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾، فجاء على أتمِّ عبارةٍ في المطلوب وأوفاها، فناسبَ ذلك ورودُ ﴿بِأَنَّنَا﴾ على أوفى الحالَين، وهو الورودُ على الأصل، ولمّا لم يقع إفصاحٌ بهذا التَّفصيل في آية آل عمران إذ قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، فلم يقع هنا (وبرسولِه) إيجازًا؛ للعلم به بشهادة السّياق ناسبَ هذا الإيجاز، كما ناسبَ الإتمامَ في آيةِ المائدةِ الإتمامُ فقيل هنا: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾، فجاء كلٌّ على ما يجبُ، ولو قُدِّرَ ورودُ العكسِ لَما ناسبَ[1].

وأيضًا لمّا كانت (أنّا) أَقَلَّ تأكيدًا مِن (أنّنا)؛ لِأنَّ المحذوفَ إحدى نونَي (إنَّ) المشدّدة، وكانت آيةُ آلِ عمرانَ قد وردت في مقام الإخبار عنِ الحواريّين أنَّهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، فلم تكن حاجةٌ لتقرير تأكيد انقيادهم، فليسَ المقامُ مقامَ إنكارٍ لاقتضاء التّأكيد. ولمّا كانت آيةُ المائدة قد أعقبَها طلبُ الحواريّينَ تنزيلَ مائدةٍ منَ السَّماء، وهو كلامٌ لا يردُ عن معظِّمينَ للّهِ منقادينَ لِأمرِه، ناسبَهُ أن يأتيَ بإثبات النّون، فقالوا: (أَنَّنا) الّذي يفيدُ تقريرَ تأكيدِهم انقيادَهم لأمر الله؛ للتَّعجيب مِن حالِهم، فكيفَ يؤكّدونَ انقيادَهم، ويطلبونَ مطلبًا بعيدًا عنِ التَّسليم لأمر الله؟.

(1) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/87.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»